دراسة مقارنة عن وصف الزلزال في قصيدتي زلزال مسينا و زلزلة شيراز لـ(حافظ ابراهيم وداوري شيرازي)

أ.م.د. محمد جعفر اصغري الباحث: كمال دهقاني اشكذري
جامعة ولي العصر (عج) / كلية الآداب / رفسنجان - ايران
erfan_arabic@yahoo.com

الملخّص:

يُعدُّ الوصف مكوّنا أساسيا من مكوّنات الأعمال الأدبية إذ عرفه الأدبان العربى والفارسي منذ القِدَم وقد تجلى فى أشعار الشعراء وقصائدهم بأحسن الصّور وأنقى الأشكال. أحد مظاهر الوصف فى الأعمال الأدبية هو وصف الطبيعة ومظاهرها كالسيل والطوفان والزلزال.فقد اهتمّ الأدباء بوصف الطبيعة فى أشعارهم غير أنّهم لم يتناولوا وصف مظاهرها بقدر ما تنالوا الطبيعة نفسها، فالزلزال أحد هذه الظواهر التى قلّما عُنى الشعراء به فى أشعارهم، إلا أنّ حافظ إبراهيم(١٩٣٢-١٨٧١م) وداورى شيرازى(١٢٨٢-١٢٣٨هـ.ق) من الشعراء القلائل الذين قاموا بوصفه وصفا رائعا؛ فمن هذا المنطلق،يُقارن هذا البحث بين القصيدَتَين فنّا ومضمونا والمنهج المتّبع فيه هو منهج المدرسة الأمريكية التى تعتقد باختلاف اللغة شرطا للمقارنة كما أنّها لا تعدّ التأثير والتأثّر بين الشاعرين شرطا للمقارنة. إنّ بعض ما اهتدت إليه المقالة يشير إلى أن الشاعرين يصفان الزلزال بالعظمة كما يرجوان احياء المدينتين المنكوبتين.أما أبرز ما يوجد من تباين بين القصيدتين فيعود إلى أنّ الشاعر الايرانى«داورى شيرازى» أكثر اهتماما بتفاصيل الحادث من نظيره المصرى«حافظ ابراهيم».

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، الوصف،وصف الطبيعة، الزلزال، حافظ إبراهيم، داورى شيرازى.

A **comparative Investigation of description of earthquake in the two Ballads of "زلزال مسينا: the earthquake in Messina" by Hafiz Ibrahim and " زلزله شيراز: the earthquake of Shiraz" by Davari Shirazi**

Dr.Mohammad Jafar Asghari, Assistant professor in Valiye-Asr University of Rafsanjan.
Kamal Dehghani Ashkezari.Master of Art in Language and Arabic literature

Abstract:

Description is one of the most important elements of literary works. It can be found in old Arabic and Persian literature and have been manifested well in poems of poets. One of the effects of description is describing the nature and its phenomena such as floods, storms, earthquakes etc. literalists have described the nature, but they have not described natural phenomena as they have described nature itself. To The earthquake is one of the phenomena that poets have less concern, but in spite of other poets, Hafiz Ibrahim and Davari Shirazi have described it interesting.

Hence, this article compares between these two Ballads "زلزال مسينا: the earthquake in Messina" by Hafiz Ibrahim and "زلزله شيراز: the earthquake of Shiraz**"** by Davari Shirazi in terms of thematic and technical. This article relies on comparative approach of American school of comparative literature which does not consider affecting being affected as a condition in comparing between two poets.

The findings of this paper show that two poets describe the magnitude of earthquake. They also hope to revive two earthquake-stricken cities, but on points of dispute, Davari Shirazi pays more attention to details than Hafiz Ibrahim.

Key words: comparative literature, descriptions, descriptions of nature, earthquake, Hafez Ibrahim, Davari shirazi.

١-المقدمة:

لقد اهتمّ الشعراء العرب والايرانيون بالوصف فى قصائدهم مُعبّرين عن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه ما حولهم من ظواهر وأحداث و«مع أنّ معظم الشعراء قد تناول هذا الموضوع، إلا أنّهم يتفاوتون فى مراتبهم وأقدارهم فيه، فمنهم من برع فى وصف الطبيعة حية وجامدة ببساتينها ورياضها وأشجارها، ومنهم من برع فى وصف الخمر ولونها وطعمها وأوانيها والبعض الآخر برع فى الطرد، فوصف حيوانه من خيل وكلاب وصقور».(سالم،١٩٨٩م: ۴). الوصف فى اللغة هو: «وَصَفَ الشَيءَ لَه و عَلَيهِ وَصفاً و صِفَةً: حَلّاها» (ابن منظور، ١٩٦٥م: مادة وَصَفَ) وأيضا: «وَصَفَ الشَيءَ وَصفاً وصِفَةً: نَعَتَه بما فيه» (أنيس، ١٩٩٨م: مادة وَصَفَ)، أما بالنسبة إلى المصطلح فيقول مصطفى صادق الرافعى فى كتابه «تاريخ آداب العرب» فى تحديده: «الوصفُ جزءٌ طبيعىٌ من منطق الإنسان، لأنّ النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات، وما يكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلک إلا بتمثل الحقيقة و تأديتها إلى التصور فى طريق من طُرُق السمع والبصر والفؤاد» (الرافعى، ١٩٧۴م: ١١٩). إنّ ما يُوجد من قُدرة فى الشاعر على انتقال الميزات والصفات ومدى براعته فى انتقالها يسبب فى أن يحتل مكانة ممتازة بين شعراء الوصف إذ يُؤكّد ذلک قولهم فى الوصف: «أحسنُ الوصف ما نُعت به الشَىء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع» (القيروانى، ١٩٧٢م، ج ٢: ٢٩۴).

«يُعدّ وصف الطبيعة من المضامين الرئيسية للأدب الغنائى»(شميسا،١٣٨٣ش: ١۴٣)كما أنّه كان ومايزال يحتل « فى أدب الشعوب منزلة عالية حيث أولاه الشعراء والأدباء عناية خاصة واصفين مشاهد الطبيعة ومناهجها مُعبّرين عن مشاعرهم تجاهها».(دشتى،١٣٨١ش: ١۵۵).فنّ الوصف له مكان ممتاز بين الأغراض الشعرية إذ« عدّه بعضُ النقاد أصل كل شعر».(شيبانى،١٣٧٨ش: ٩).فقد تأثّر الشعر المعاصر العربى كنظيره الفارسى« فى توجّهه نحو الطبيعة بالمدارس الأدبية الغربية كالرومنطيقية و الرمزية إذ يُمكن العثور على بعض النماذج المشابهة فيما بينهما».(ابراهيمى كاورى و چولانيان،١٣٨٧ش: ۶).أمّا الأشعار التى نُظمت فى وصف الطبيعة فكثيرة فى الأدبين العربى والفارسى لا يمكن ضبطها. فتعدُّ قصيدَتا «زلزال مسينا» و «زلزله شيراز» من القصائد التى تناول الشاعران العربى والفارسى فيهما موضوع الزلزال واصِفَين إياه. فى هاتين القصيدتين على الرغم من وجود الأوجه المشتركة فيهما، إختلافٌ رئيسٌ وهو يرجع إلى البلد الذى حدث الزلزال فيه، فبينما وصف داورى شيرازى زلزال بلد مسقط رأسه أى شيراز، إهتمّ حافظ إبراهيم بوصف الزلزال فى بلد أجنبىّ أى «ايطاليا» ولعلّ هذا يعود إلى نظرته الشاملة إلى جميع الناس إذا حلّت بهم المصائب.

فقد«حدث زلزالٌ فی بلد مسینا فی جنوب إیطالیا سنة ١٩٠٨م» (إبراهیم، ١٩٨٧م: ٣١٥)، کما « حدث زلزالٌ فی مدینة شیراز عام ١٢٦٩هـ.ق الموافق لـ ١٨٥٣م إذ وصفوه کل من أبناء وصال الشیرازی أی:وقار وحکیم وداور وفرهنگ وتوحید؛لأنّهم حظوا بقریحة شعریة کأبیهم.لم تُطبع أشعار حکیم وفرهنگ وتوحید فی وصف الزلزال إلا أنّ أشعار داوری فی وصف الزلزال قد طُبعت فی دیوانه کما أنّ أشعار وقار طُبعت فی دیوان أبیه ناقصة».(سلطانی مقدم، ١٣٩٠ش: ١٤٢١). نظرا إلی شهرة أشعار داوری وأیضا کتابتها فی دیوانه، قامت هذه الدراسة بمقارنة قصیدَتَی «زلزال مسینا» لحافظ إبراهیم و «زلزال شیراز» لداوری شیرازی.أما ما دفع إلی هذا البحث فلم یکن إلا المحور الرئیس للقصیدتین وهو «وصف الزلزال» وما یرتبط به من سمات وصف المظاهر الطبیعیة، ثمّ بعض الأوجه المشترکة الفنیة و الأسلوبیة بین القصیدتین؛ غیر أنّ بینهما بعض وجوه الإختلاف فنّا و أسلوبا.

٢-أسبقیة البحث

هناک دراسات عن الوصف فی أشعار الشعراء ودواوینهم، وقد تناول الدارسون هذا النمط فی ما نُظم من الأشعار، أما بالنسبة إلی مقارنة الوصف بین الأدبین، فأهمّ ما عُثِرَ علیه هو: «المقارنة الموضوعیة لوصف الطبیعة فی الشعر الفارسی والعربی» التی تمّت من قبل (صادق إبراهیمی کاوری ورحیمه چولانیان، مجلة دراسات الأدب المقارن، ربیع ١٣٨٧ش، رقم ٥) وأیضا مقالة: «وصف الطبیعة فی دیوان طغرایی ومنوتشهری» التی تمّت من قبل (سیدمحمدرضا ابن الرسول وفهیمه میرازئی جابری، مجلة دراسات الأدب المقارن، ربیع ١٣٩١ش، رقم ٢١) و «مقارنة وصف الطبیعة فی دیوانَی الصنوبری ومنوشهری دامغانی» (هدی مهربان، مجلة دراسات الأدب المقارن، خریف ١٣٨٧ش،رقم ٧) أما بالنسبة إلی معالجة وصف الطبیعة فی الأدب الفارسی فأهمّ ما اهتدینا إلیه: «وصف طبیعت در شعر غنائی فارسی:وصف الطبیعة فی الشعر الغنائی الفارسی» (احمد سمیعی گیلانی، مجلة فرهنگستان، شتاء ١٣٧٥ش، رقم ٨). لقد أنجزت حتی الآن دراسات کثیرة عن وصف الطبیعة و مظاهرها فی الأدب العربی، نحو: «الوصف فی الشعر العربی» (مجلة الهلال، شوال ١٣٢٠ق، رقم ٢٢٦) . ولکن لم یهتمّ الباحثون بمظاهر الطبیعة کالزلزال والسیل والطوفان وغیره بقدر ما تناولوا وصف الطبیعة فی الدواوین و الأشعار.

٣-أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الاجابة عن السؤالین الآتیینِ:

١-ما القواسم المشترکة بین القصیدَتَین موضوعا وفنا؟

٢-ما وجوه التباين بين القصيدَتَين موضوعا وفنا ؟

٤-منهج البحث

للأدب المقارن مدارس مقارنية مختلفة إلا أنّه لم تشتهر منها غير مدرستين، هما الفرنسية المؤكدة على العلاقات التاريخية ودراسات التأثير والتأثّر والأمريكية المركّزة على دراسات التوازى والتقابل مقرّبة الأدب المقارن من النقد الأدبى. فنظرا إلى ما ذُكِر، فإنّ المنهج المتبع فى هذه الدراسة قائمٌ على «المدرسة الأمريكية التى تدرس الأدب مستقلا عن حواجز السياسة والجنس واللغة والعلاقات التاريخية»(مكى، ١٩٨٧م: ١٩٦) والتأثير والتأثّر.كما يعتمد البحث على المنهج الوصفى-التحليلى فى شرح الأبيات بقدر ما يسد الحاجة ويجلب الكفاية.

٥-نظرة عابرة إلى حياة حافظ إبراهيم

«ولد محمد حافظ بن ابراهيم فهمى فى سفينة كانت ترسو على شاطىء النيل أمام بلدة ديروط،فى أعلى صعيد مصر،من أب مصرى مهندس،وأم تركية الأصل» (الفاخورى،١٩٨٦م: ١٣٦).توفّى والده عندما كان فى الرابعة من عمره،فنشأ تحت رعاية خاله.«وظل كذلك إلى أن نقل خاله إلى طنطا،فكان لا بُدّ له من الانتقال إليها أيضا،وراح فيها يملأ فراغه بالمطالعة و قرض الشعر».(المصدر نفسه). تقلب الشاعر فى المناصب الكثيرة إلا أنّ هذه المناصب لم تشف غلته،فعُين ضابطا فى دائرة البوليس غير أنّه أجبر على الاستيداع براتب ضئيل.فقد أفضى الشاعر إلى دار ربّه سنة ١٩٣٢م.يقول طه حسين عنه: « لا أعرف بين شعراء هذه الأيام شاعرا جعلته طبيعته مرآةً صافيةً صادقةً لحياة نفسه ولحياة شعبه كحافظ» (حسين، دون تا: ٤٦٦-٤٦٥).

٦-داورى شيرازى فى سطور

«إسمه محمد و هو الولد الثالث من إبناء وصال الشيرازى. وُلِد سنة ١٢٣٨ هـ.ق. ذهب إلى المكتبة وهو فى الطفولة وبدأ تعلّم الشعر والأدب فى الرابعة عشرة من عمره. هو يشكو أباه فى قصيدة، لأنّه أجبره على تعلّم العلوم كما يعتقد بأنّ جميع هذه العلوم لافائدة لها» (سلطانى مقدم، ١٣٩٠ش: ١٤٢٤). «سافر إلى طهران مُهديا القرآن المكتوب بخطّه إلى ناصرالدين شاه» (نفس المصدر). إذا تصفحّنا ديوانه نجد أنّه طرق جميع أبواب الشعر غير أنّ مَدحَ الوزراء و السلاطين غلب على أشعاره الأخرى. بجانب مدح هؤلاء الأشخاص، له قصائد طويلة فى مدح النبى (ص). «مات الشاعر سنة ١٢٨٢هـ.ق بعد عودته من طهران». (نفس المصدر). ليس بين أيدينا غير ديوان شعر له وفيه جميع أغراض الشعر، منها وصف زلزال شيراز الذى نحن بصدده.

٧- القواسم المشتركة الموضوعية لِقَصيدَتَى «زلزال مسينا» و «زلزله شيراز»

٧-١-وصف عظمة الزلزال

يصف حافظ إبراهيم عظمة الزلزال بأنّها طغيان الأرض والجبال والبحر، فحينما تجيب الجبال بما ناداها الأرض والبحر، يصبح الأمر أكثر دهشا وخوفا للإنسان:

بَغَت الأرضُ وَ الجِبالُ عَلَيها وَ طَغى البحرُ أيّما طُغيانِ

تلک تَغلِی حِقدا علیها فَتَنشَـ ـقُّ انشِقاقا مِن كثرة الغَلَيانِ

فَتُجيبُ الجِبالُ رَجما و قَذفا بِـ شُواظ مِن مارج ودُخان

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٦)

فكما هو واضحٌ،كأن الأرض والبحر والجبال تحقد كلها على مسينا وأهلها، فحينما يطغى أحدها، يلبّى الآخر ويخلق منظرا مخيفا للمدينة وأهلها.فالشاعر علاوة على وصف عظمة الزلزال ، يشير إلى الأسباب التى أسهمت فى خلقه وهى الأرض والبحر والجبال، لا يُعلم لماذا تحقد الأرض-على رأى الشاعر-على مسينا ومن فيها؟ لعلّ الشاعر بواسطة ذكر هذه العوامل الثلاثة يُريد أن يعلن للقارئ مدى الدمار الذى حلّ بهذه المدينة إثر الزلزال.

أما داورى شيرازى فيصف زلزال شيراز بأنّ إنقلبت الأرض تماما ويكتفى بالإشارة إلى الجبال والأرض من بين ما يشارک فى خلقه، ولكنّه لتصوير عظمته، يذكر فيما بعد عدة علامات لكى يصوّر للقارئ مدى عظمة هذا الحادث، منها صوته العظيم الذى شُقِق الحجر الصلب منه، فالذى يصوّره الشاعر لخلق عظمة هذا الزلزال هو صوته المريع:

چنان به لرزه درآمد زمین که گفتی خاک بِشُد ز مرکز خود به سوی مرکزی دیگر

هزار کوه به یکباره گفتی از سر جای بلند گشت و بیفتاد بر سر کشـــور

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:زُلزلت الأرض زلزالا كأنّها تزحزحت من مكانها.(تحركت من مركزها نحو مركز آخر). كأنّ ألف جبال اجتثّت من مكانها فجأة وسقطت على البلاد.

إذا قارنا أبيات الشاعرَين فى وصف عظمة الزلزالَين نجد أنّ حافظ إبراهيم يهتمّ بطريقة حدوث الزلازل، بينما داورى شيرازى يتحدث عن كمية الزلازل أكثر من طريقة حدوثها، فعلى رأى حافظ إبراهيم ما يجعل هذا الزلزال مُخيفا هو مزج عدة أسباب، ولكن الخوف الناشىء عن زلزال شيراز فى رأى داورى شيرازى يعود إلى صوته وليس له سببٌ آخر. أما من حيث الخيال فيبدو أنّ حافظ إبراهيم يتفوق على داورى شيرازى؛ إذ يستفيد من العبارات والمفردات التى تثير الخيال نحو: «بَغَت الأرض و الجبال»، «طَغى البحر»،«تغلى» و «تجيب الجبال»، فهو يستخدم التشخيص أحيانا للوصول إلى هذا الغرض.

٧-٢-شمول الموت

يصف حافظ إبراهيم هذا الزلزال بأنّه أدّى إلى موت كثير من الناس، فهذا الحادث كان عظيما إلى حدٍّ قد أحاط الموت بالجميع ولم يكن للناس مفرّ منه، فكلّما أرادوا أن يخرجوا منه أدركهم الموت من كل جانب:

رَبِّ، أينَ المَفَرُّ وَ البَحرُ و البَـ رُّ عَلى الكَيدِ للوَرَى عامِلانِ

كُنتُ أخشَى البِحارَ و الموتُ فيها راصدٌ غَفلةً مِن الربــّانِ

سابِحٌ تَحتَنا، مُطِلٌ عَلَيــــنا حائمٌ حَولَنا، مُناءٍ مُـدانى

فإذا الأرضُ و البِحارُ سَــواءٌ فى خَلاقٍ كِلاهُما غـادِرانِ

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٦)

يمزج الشاعر العربى كلامه عند وصفه عظمة الزلزال بذكر أسباب خلق هذه الحادثة العظيمة، كما يتحدّث عن أسباب موت الناس وهما البحر والبرّ إذ لايمكن للناس أن يفرّوا منه. أمّا الموت الذى يصفه حافظ إبراهيم فهو موتٌ لايترك الناس لحظة. من جانب آخر يعلن الشاعر قلقه على الناس وهذا ما يُميز قصيدته عن قصيدة داورى شيرازى، إذ هو يعرب عن قلقه طوال القصيدة على موت الناس من طفلٍ أو فتاة أو غيرهما.أمّا داورى شيرازى فيصف موت جميع الناس قائلا: مات الناس جميعا بقدر ما مُلئت الجنة و الجحيم، فَيجب أن تُخلَق جنة وجحيم أخريان بدلا منهما:

مگر نعيم و جحيم دگر پديد آرد خدا به كيفر و پاداش مــؤمن و كافر

وگرنه اينهمه كز خلق مُرد پندارم كه نه دگر به جنان جاى ماند و نى به سقر

(ديوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:(كثر عددُ ضحايا الزلزال،إذ لا يسعهم النعيم و الجحيم)؛فيجب أن يُحدث نعيم وجحيم(من جديد) حتى يسع عددهم و أن يُعاقب الله الكافرين جازيا المؤمنين.إلا أنّه بسبب كثرة من راحوا ضحية هذا الزلزال،أظنّ أنّه لم يبق لهم مكان لا فى الجنة ولا فى الجحيم.

مما تقدم ذكره،نجد أنّ داوری شيرازی–كالأبيات السابقة من قصيدته– يهتمّ بمدى الزلزال أكثر من طريقة حدوثه.فضلا عن ذلک،يُشارک الشاعران فى وصف شمول الموت ولكن داوری يرغب فى ذكر عددهم وما يرتبط به.

٧–٣–الرجاء بإحياء المدينتين المنكوبتين

من الموضوعات المشتركة التى نجدها فى القصيدَتَين هى رجاء الشاعرين بإحياء المدينتين اللتين نكبتا خلال الزلزال، فنجد فى قصيدة حافظ إبراهيم أنّه يعتقد بأنّ هذه المدينة ليست كمدينة «بُمبى» التى « تبعد إثنى عشر ميلا عن نابلى إلى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف، وقد حدث فيها زلزالان خرّبا قسما منها فى سنة ٦٣م وكان بين هاتين الزلزلتين عِدّة أشهر، ثم خربت بالمواد المتقذفة فى ٢٤ آب سنة ٧٩، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلک مطمورة، طامسة الذكر، حتى استكشفت أخيرا» (إبراهيم، ١٩٨٧م: ٢١٩)، فتُحيى هذه المدينة وسيأتى الوقت الذى يجدّد الشعب فيه عمارتها ويعيد ما هدمها الزلزال من مغانيها، فتصبح كما كانت:

أنتِ (مِسّينَ) لن تزولى كَما زا لَت و لكن أمسَيتِ رَهنَ الأوانِ

إنّ إيطاليا بَنُوها بُنـــاةٌ فاطمَئنّى مادامَ فى الحىّ بانـى

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢٢٠)

عبارة «أنتِ مسّين» تدلّ على أنّ الشاعر يحبّ هذه المدينة وبهذا الدليل يقارنها بمدينة «بُمبى» التى زالت من قبل. فعلى رأيه إن هُدمت مدينة «مسّين» فإنّها تحيا وتصير كما كانت فى الماضى، والأمر الآخر الذى تجدر الإشارة إليه هو أن حافظ ابراهيم لا يُعلن عن حنينه إلى هذه المدينة فَحسبُ وإنّما يرفق إلى بلد «إيطاليا» ومن فيها من الرجال الذين بنوها. ما نجده عند حافظ إبراهيم فى هذا القسم هو إهتمامه بالماضى وأسبقية هذه المدينة وهذا البلد لا زمنها الراهن فقط؛ فكما أُحيت إيطاليا، ستُحيى «مسّين».إلا أنّ داوری شيرازی يعتقد بأنّ ما يُعيد بناء مدينة شيراز

إلى ما كانت عليه فى الماضى هو اليانصيب.فالإعتقاد به جزء من شخصية الشاعر، إذ يقول فى خاتمة القصيدة أنّه لامفرّ مما قدّره الله تعالى:

اگر ز خواب شود بخت پارسی بیدار تمام راست شود کارها چو سکه به زر

به یک دو هفته کند شهر را چنان آباد که کس حدیث خرابی نیایدش باور

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٧)

الترجمة:لو استيقظ حظ الانسان الفارسى من نومه(لو حالفه الحظ) لأصبحت الأمور صائبة كلها؛ حيثُ يقوم باعمار المدينة خلال أسبوع أو أسبوعين اعمارا لا يتذكّر أحدٌ تهدّمها.

المتأمّل فى هذين البيتين يجد أنّ داورى شيرازى يرجو مساعدة الآخرين من مثل ناصرالدين شاه وغيرهم من الوزراء فى البلاط؛ فيمكننا أن نقول معنى «البخت» فى هذين البيتين يعود إلى رجائه بهؤلاء الأشخاص وهذا وجه الإفتراق بينه وبين حافظ إبراهيم؛ إذ يعتقد الشاعر العربى بأنّ إحياء مدينة «مسينا» يحدث لامحالة ولهذا يخاطبها ويقول «فاطمئنّى» ولكن إحياء مدينة شيراز – على رأى داورى شيرازى– مشروط بيقظة البخت الفارسى.فبينما يشكّ الشاعر الفارسى فى الإحياء، يعتقد الشاعر العربى إعتقادا جازما بأن المجد والعزة سيعودان إلى هذه المدينة المنكوبة من دون شك.

٨–وجوه التباين الموضوعية فى القصيدتين

٨–١–العناية بتفاصيل الحادث

عند إمعان النظر فى القصيدتين نفهم بأنّ داورى شيرازى يهتمّ بتفاصيل الحادث أكثر من مماثله العربى، فنراه يصف ليلة قبل الزلزال مصوّراً هؤلاء الذين كانوا قد ناموا فى بيوتهم.فيتناول الشاعر الإيرانى تفاصيل الأمور عبر الاستمداد من التشابيه والاستعارات الرائعة وذكر الحوادث التاريخية أحيانا، فيمكننا أن نقول تفوّق داورى شيرازى على حافظ إبراهيم فى خلق الصور الشعرية بما اهتمّ به من التفاصيل، فمثلا يصف فراره من البيت وقذف الأحجار حين حدوث الزلزال:

شتاب کردم و رفتم ز حجره چندین بار به جانب در و دیوار ره نداد به در

همی دویدم و سنگ از قفای من می ریخت چنو شب عقبه از قفای پیغمبر

بسان زانی مرحوم تا کمر در خاک بریخت بر سرم از هر کران کلوخ و به در

حصار خانه چنو منجنیق سنـــگ انداز فشاند سنگ و به من نمانـــد راه مفرّ

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة: تعجلتُ مُهمّا بالخروج من الغرفة إلى الباب وذلک لمرّات عديدة غير أنّ الجدار اعترضنى يمنعنى من الوصول إلى الباب.كنت أركض والأحجار كانت تسقط ورائى على الأرض كما كان المشركون يرمون الأحجار على رأس النبى فى ليلة العقبة.لقد سقط المدر من كل جانب على رأسى كالزانى المرحوم المستتر بالتراب حتّى ظهره.إنّ ما أحاط بالبيت من الجدران رشقتنى بالأحجار كالمنجنيق الذى يقذف الأحجار إلى(الأهداف المحددة) حيثُ لم يبق أى مفر لى(سُدّت كل الطرق أمامى).

ما يساعد الشاعر فى هذه الأبيات على خلق الصور وتفاصيل الحادث هو استمداده من التشبيه والتناص الدينى. تشبيه قذف الأحجار على رأس الشاعر بقذفها على رأس النبى (ص) تشبيه رائع يصور للقارئ أمرين: الأوّل تصوير شكل نوع قذف الأحجار والثانى الإشارة إلى موضوع تاريخى. ثمّ يتوسل إلى التشبيهين الآخرين لتصوير هجوم التراب عليه وقذف الأحجار من حصار البيت إليه. استخدام التشابيه لخلق الصورة الشعرية أمر لانجده عند حافظ إبراهيم بقدر ما نراه عند داورى شيرازى فى قصيدته.فهو مثلا يُعلن أنّ عدد هالكى هذا الزلزال ثلاثة عشر ألف شخص:

چو گرگ گرسنه خاک سیه دهان بگشاد بخورد ز آدمیان سیزده هزار نفر

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:لقد فتحت الأرض السوداء فمها كالذئب الجائع آكلا من بنى البشر ثلاثة عشر ألف شخص.

يهتم داورى شيرازى بتفاصيل الحادث، بينما لا نرى هذا الاهتمام عند حافظ إبراهيم. الشاعر مزج فى هذا البيت بين التشبيه والتشخيص وشبّه التراب بالذئب الذى فتح فاه ليأكل من الناس ثلاثة عشر ألف شخص. أمّا الشاعر المصرى فيعتمد فى قصيدته–بدلا من العناية بالتفاصيل– على تصوير مشاهد مؤلمة تحزن القارئ وكل من يسمعها .فيختلف الشاعران فى خلق الصورة الشعرية، بينما يصب الشاعر الفارسى جُلّ همّه فى التفاصيل. يتوجّه حافظ إبراهيم نحو خلق مشاهد مؤلمة قائلا:

رُبَّ طِفلٍ قَد سَاخَ فى باطنِ الأر ضِ ينادِى: أُمّى، أبى، أدركـانى

وَفَتاةٍ هَيفاءَ تُشوَى على الجَمـ ـرِ تُعانِى مِن حَرِّه ما تُعــانى

وَأبٍ ذاهِلٍ، إلى النارِ يَمشِـى مُستَمِيا تَمتدُّ منه اليــدانِ

باحثا عَن بَناتِه و بَنيــــه مُسرعَ الخَطوِ مُستَطيرَ الجَنـانِ

تأكلُ النارُ منه لا هوَ نــاجٍ مِن لَظاهَا و لا اللَظى عنه وانى

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٨ و ٢١٧)

يميل حافظ إبراهيم إلى الواقعية أكثر من خلق الصور الرائعة، ففى هذه الأبيات يبذل الشاعر أقصى جُهده لينقل إلى القارئ الظروف التى حلّت بالمصيبين من طفل أو فتاة أو أب، فالطفل يساخ فى باطن الأرض والفتاة تشوى على الجمر والأب يبحث عن بناته وبنيه. يسعى الشاعر إلى أن يخلق فى هذه الأبيات مدى ما حدث بواسطة الزلزال، فالتصوير الشعرى يختلف عنده عما نجده عند داورى شيرازى، بينما يعنى داورى شيرازى بالتفاصيل من دون العناية بالصور المؤلمة.فالشاعر المصرى يهتم بما يحدث لمنكوبى الزلزال و يسعى أن ينقل الواقع بكلّ ما فيه من الحوادث و التصاوير المؤلمة. قلّما يُعنى حافظ إبراهيم بالتفاصيل، مثلا حينما يريد أن يذكر عدد هالكى الزلزال، لايعتمد على ذكر عددهم، بل يشير إلى امتلاء البحر بدليل كثرة أجساد الهالكين، حتى أسرفت النسور والحوت فى الأكل:

غَصّتِ الأرضُ أتخِمَ البحرُ مما طَوَياهُ مِن هذه الأبدانِ

وَشَكا الحُوتُ للنُسورِ شَكاةً رَدَّدَتها النُسُورُ للحيتانِ

أسرَفَا فى الجُسُومِ نَقرا و نَهشا ثمّ باتا مِن كِظّةٍ يشكُوان

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٨)

فضلا عن الإشارة إلى كثرة مَن ماتوا فى هذا الحادث، نجد فى هذه الأبيات ما قلناه سابقا من اهتمام حافظ إبراهيم بخلق الصور المؤلمة بدلا من العناية بالتفاصيل، فتدلّ كلمة «نقر» على تمزيق الأجساد من قبل النسور وكلمة «نهش» بأكلها بواسطة الحوت. هذا وفى الوقت الذى يذكر داورى شيرازى عدد هالكى الزلزال بشكل مباشر.أمّا نظيره المصرى حافظ ابراهيم فهو يشير إلى

عدد الهالكين بشكل غير مباشر، إذ يقول أكلت النسور والحوت من الأجساد حتى كانتا تشكوان من الكظّة.

٨-٢-الإهتمام بالفخر و المدح

ليس فى قصيدة حافظ إبراهيم فخرٌ بالنفس، بل يفخر الشاعر ببلد «مسينا» وما بها من المفاخر والصناعات والأشخاص:

فاكتُبُوا فِى سَماءِ (رِدجُو) و (مِسيـ نا) و (كالَبرِيا) بكلّ لِسانِ

ها هُنا مَصرعُ الصناعةِ و التَصـ ويرِ والحِذقِ والحِجا والأغانى

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢٢٠)

كما يتجلّى فى هذين البيتين،لا يفخر الشاعر بنفسه إنّما يفخر بمدن «دجو»و «مسّينا» و «كالبريا»؛ لأنّ فيها أشخاصا وصناعات والفِطَنة، وهذا ما لا نراه عند داورى شيرازى، إذ هو يفخر بنفسه أولا، ثمّ إذا أراد أن يفخر بمدينة، ينحصر فخره فى مدينة شيراز من دون غيرها من المدن ثانيا. من جانب آخر، عندما يفخر الشاعر بمدينة شيراز لا يذكر سببه، لعل السبب فى فخر الشاعر بمدينة شيراز من دون غيرها من المدن يعود إلى أنّه من مدينة شيراز حيثُ يتحمّس لها:

روا بُوَد كه ز شيراز شعرهاى مرا برند تحفه رسولان همى به بحر و بر؟

دريغ و درد كه اين رستخيز عام مرا ز خيل حادثه بر طبع بسته است راه فكر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٨)

الترجمة:هل من الإنصاف أن يأخذ الرسل أشعارى من شيراز إلى البحر و البر كهدية؟ فيا للحسرة والألم! لأنّ هذا الحادث العظيم بسبب عظمته(و ما عقبه من التداعيات) يسدّ الطريق على الفكر.

يمدح الشاعر الشيرازى فى أثناء حديثه عن الزلزال،سيدالشهداء (ع) طالبا منه المساعدة لمنكوبى الزلازل فى مدينة شيراز الذين حلّت بهم هذه المصيبة العظمى:

حصارها همه افتاد و يک پناه نمانـد جز آستانه شاه شهيد تشنه جـــگر

قتيل خنجر بيداد سيدالشهـــداء كه خورد خنجر او آب از دم خـنجر

شهى كه اين همه گفتند در مصيبت او هنوز كس ز شگفتى نـــمى كند باور

کسی نمانده که گیرد کنون مصیبتشان تو بر مصیبـــت ایشان یکی بیا بنگر

چه سال ها به در خانه تو رو کردیم تو هم ز لطف به سوی خانه های ما بگذر

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٧)

الترجمة:لقد سقطت كل الجدران إذ لم يبق ملجأ إلا عتبة سيد الشّهداء الظامئ الكبد.لقد راح سيد الشهداء ضحية خنجر الظلم والقسوة.هو الذى شربت حنجرته الماء من الخنجر.ذلک السيد الذى أفاضوا الحديث فى مصيبته.فلا يزال لا يقبل أحدٌ من شدة الدهشة و التعجب(ما ألم به من البلايا).لم يبق أحدٌ حتّى يُشاطر ويُواسى منكوبى الزلزال فى أحزانهم.فتعال لحظة وانظر إلى ما يعيشون فيه من مصائب.كم من سنين ولينا وجوهنا شطر بيتک،فأنت أيضا مُرّ على بيوتنا مُتفضلا علينا.

٩-القواسم المشتركة الفنية

٩-١-البناء الفنى:«قد اهتمّ الشعراء والنقاد بالبناء الفنى للقصيدة، وأولوه عناية فائقة، لما يضيفه من القيم الجمالية والفنية عليها، وحدّدوا العناصر الأساسية لهذا البناء، وكان من أبرزها: المقدمة، حسن التخلص و الخاتمة».(البلدى،٢٠١٢م: ١٤٥).

٩-١-١-المقدمة: «اعتنى القدماء بمقدمة القصيدة وحثوا الشعراء على إستحسانها وتقديمها وسموها أسماء كثيرة كالابتداء، الاستهلال و الافتتاح» (القزوينى، ١٩٧٥م: ٢٤١). فحرىٌّ بالشاعر أن يحسن إبتداء قصيدته، لأنّه «أول ما يقع فى السمع من الكلام....فإذا كان الابتداء حسنا بديعا مليحا رشيقا، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام» (نفس المصدر). يقول ابن رشيق: «و ينبغى على الشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع و به يستدل على ما عنده من أول وهلة...» (القيروانى، ١٩٧٢م: ٢١٧). وعند النظر إلى قصيدة حافظ إبراهيم نجد أنّه يبدأ قصيدته بالسؤال عما حدث فى بلد مسينا، كأنه يريد أن تنتقل عظمة هذا الحادث إلى القارئ بواسطة هذا السؤال:

نَبِّئانى إن كُنتُما تَعلَمـــانِ ما دَهَى الكَونَ أيّها الفَرقَدانِ

غَضِبَ اللهُ أم تَمــرَّدَت الأر ضُ فَأَنحَت على بَنى الإنسانِ

(دیوان حافظ ابراهیم،١٩٨٧م: ٢١٥)

ثم يجيب الشاعر عن السؤالين بأنّ الزلزال ليس غضب الله ولا تمرّد الأرض، بل هو الحدث الذى يقع فى الطبيعة:

لَيسَ هَذا سُبحانَ رَبِّی وَ لا ذا كَ وَ لَكن طَبيعةُ الأكوان

غَلَيانٌ فی الأرضِ نَفَّسَ عنـــه ثَوَرانٌ فی البحرِ و البُركانِ

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٦ و ٢١٥)

الغرض الأساسى للشاعر فى استهلال قصيدته بالسؤال هو إثارة السامع و تهيئته. بعد ذلک يُجيب الشاعر عن السؤال وينتهى انتظار السامع. من الطريف أنّه فى بعض القصائد التى بُدئت بالسؤال، لا يذكر الجواب للقارئ و يبقى القارئ فى الحيرة حتّى يصل إلى الجواب فى نهاية القصيدة. أما داورى شيرازى فلا يبدأ قصيدته بالسؤال،بل يصف الليل الذى وقع الزلزال فيه ويصوّره بالاستعانة بالتشابيه الرائعة، فالشاعر يظهر براعته فى خلق الاستعارة والتشبيه والتصوير وهذا ما يُميز قصيدته عن قصيدة حافظ ابراهيم فى زلزال مسينا:

شبی كشيده به رخساره نيلگون معجر به قير روی فروشسته توده أغبـر

هوا گره به جبين و ستاره اشک آلـود افق دريده گريبان زمين سياه به سر

چراغ ها همه خاموش و حجره ها تاريک دماغها همه پرخواب و ديده ها بی دَر

نه هيچ پندار اندر فراخنای زميـن نه هيچ روغن اندر چراغدان قمـر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:ليلٌ أرخى على وجهه بِمنديل أسود(فكأنّ) السحب السوداء غسلت وجوهها.الهواء مقطب الجبين،الكوكب دامعةٌ عيونه والأفق مشقوق الجيب والأرض لابسة الثياب السوداء على رأسها.المصابيح مطفئة كلها والغرف مظلمة والأنوف مليئة بالنوم كلها والعيون بلا باب(باكية دائما). إنّ ما أحاط بالبيت من الجدران رشقتنى بالأحجار كالمنجنيق الذى يقذف الأحجار إلى(الأهداف المحددة) حيثُ لم يبق أى مفر لى(سُدّت كل الطرق أمامى). فالشاعر يؤكد فى هذه الأبيات أنّ ليلة وقوع الحادث، كانت صامتة والناس كانوا نائمين غافلين عما سَيحدُث لهم فى طلوع الفجر، كماكان الشاعر و أصدقاؤه المخلصون فى النوم كسائر الناس :

من و سه چار تن از دوستان جانی من به خواب خفته به راحت به حجره اندر

(ديوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:أنا وثلاثة من أصدقائی الأحمّاء نائمون مرتاحون فی الغرفة.

٩-١-٣-حسن التخلص

اهتمّ النقاد بحسن التخلص أو الخروج فی القصيدة وفصّلوا القول فيه ومعناه «أن يخرج الشاعر من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيّل» (إبن حجة الحموی، ٢٠٠١م: ٣٤٢) وهو انتقال جميل من مطلع القصيدة «إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما؛ لأنّ السامع يكون مترقبا للإنتقال من التشبيب إلى المقصود كيف يكون، فإذا كان حسنا متلائم الطرفين حرک من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلک كان الأمر بالعكس». (القزوينی، ١٩٧٥م: ٢٤٣). على الشاعر أن يحسن الربط بين المقدمة والغرض الرئيس فی القصيدة، بحيث تكون المقدمة مشعرة بغرض الشاعر ودالة على المعنى الذی أراده بعده، لأن الشاعر إذا صرّح فی مستهل قصيدته «لم يبق لحسن التخلص محل و لا موضع» (إبن حجة الحموی، ٢٠٠١م: ٣٤٢).

يتخلص حافظ إبراهيم من مقدمة القصيدة ببيتٍ يخاطب فيه ربّه ويسأله عن المفرّ من هذا الزلزال العظيم الذی يَعُدّ البحر والبرّ عاملين رئيسين لموت الناس:

رَبِّ، أينَ المَفَرُّ و البَحرُ و البَـ رَّ على الكَيدِ للوَرَى عامِلانِ

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٦)

فكما يبدأ حافظ إبراهيم قصيدته بالسؤال، يتخلص من المقدمة ويتناول الموضوع الرئيسی بالسؤال، فبدء الجملة بالسؤال يثير فی ذهن القارئ هذا السؤال: ما هو هذا الحدث الذی يفرّ الناس منه وليس لهم مفرّ من خوفه؟ فالموت ليس فی البرّ فقط، بل يرصد جميع الناس دائما أينما يكونون:

كُنتُ أخشَى البِحارَ و الموتُ فيها راصدٌ غَفلَةً من الرَّبّــانِ

سابحٌ تَحتَنا، مُطِلٌ عَلَينـــا حائمٌ حَولَنا، مُناءٍ مُدانــی

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢١٦)

يجرى التخلص عند داورى شيرازى فى البيتين والشاعر يصف أنّ الزلزال قد وقع قُبَيل طلوع الفجر و كان مدهشا إذ إنّ التراب انقلب انقلابا:

قريب آنكه برآيد زبانه خورشيـــد به گاه آنكه بميرد فتيله أختـــــر

چنان به لرزه درآمد زمين كه گفتى خاك بشد ز مركز خود به سوى مركزى ديگر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:قبيل طلوع الشمس وعند خمود ضوء الكواكب،زُلزلت الأرض زلزالا كأنّها تزحزحت من مكانها.(تحرّكت من مركزها نحو مركز آخر).

يختلف الشاعران فى التخلص، بينما نرى حافظ إبراهيم يهتمّ بوصف الموت وذكر أنّه موت شامل ولا مفرّ منه، يشير داورى شيرازى إلى زمن وقوع الحادث وطريقة حدوث الزلزال ووصفه بأنّه زلزال شديد بحيث انقلبت الأرض انقلابا.بعبارة أخرى،يتحدّث الشاعر العربى إلى قارئه عن شمول الموت على حين يتحدّث الشاعر الفارسى عن عظمة الحادث.

٩-١-٤-الخاتمة: «اعتنى النقاد بخاتمة القصيدة واسموها أسماء عديدة مثل المقطع، الانتهاء والخاتمة» (العسكرى، ١٩٥٢م: ٤٤٢).وقد اشترط النقاد لحسن الانتهاء «أن يكون محكم الصياغة، بديع المعنى، رشيق اللفظ، مؤذنا بخواتم الكلام» (نفس المصدر، ٤٤٣). يختم حافظ إبراهيم قصيدته بذكر الأيام الماضية لـ«مسينا» وما كان بها من المجد والعزة ويدعو لها أن تعود إلى ما يمل محبّوها:

فَسَلامٌ عَلَيكِ يَومَ تَوَلَّيـــــ تِ بِما فِيكِ مِن مَغانٍ حِســانِ

وَسَلامٌ عَليكِ يَومَ تَعُوديـــ نَ كَما كُنتِ جَنَّةَ الطليـــانِ

وَسَلامٌ مِن كُلّ حَىّ علـــى الأر ضِ على كلّ هالكٍ فيكِ فــانى

ذاك حقّ الإنسانِ عند بنى الإنــ سانِ لم أدعُكُم إلى إحســانِ

فاكتبوا فى سَماءِ (رِدجو) و (مِسيـ نا) و (كالَبرِيا) بكلّ لِســانِ

ها هُنا مصرعُ الصناعة و التصــ ويرِ و الحِذقِ و الحِجا و الأغانى

(ديوان حافظ ابراهيم،١٩٨٧م: ٢٢٠)

فهو يسلم عليها بكلّ ما فيها. فهذا–على رأيه–هو البلد الذى يجدر بكل حيٍّ على الأرض أن يسلم على من هلک فيه، فيجب أن يتمّ جميع هذا من قبل الناس؛ لأنهم لم يتبادروا إلى الإحسان إليهم، فالشاعر فى البيتين الأخيرين يصف للقارئ بعض ما برع الناس فى بلد مسينا وهو الصناعة، التصوير، الحذاقة فى العمل، العقل و الأغانى.يختم داورى قصيدته بالثناء على نفسه بما نظم من الأشعار الرائعة التى يجدر بكل مرسل أن يذهب بها، كما يمدح كنظيره العربى البلد المنكوب، ذاكرا لها ما ميّزتها من البلدان الأخرى، أمّا الوجه المشترک بين الشاعرين فى خاتمة القصيدة، فهو أنّهما يأملان أن يعود المجد والعزة إلى هذين البَلَدين؛ غير أنّ داورى يعلن بأنّ هذا الحادث عطّل عبقريته الشعرية وإن لم يكن كذلک، كان ينظم شعرا يُقرأ على المنبر بدلا من الخُطب المنبرية:

که هر که قصه شنيد از خرابی شيـراز چه گنج ها است ببيند در اين خراب اندر

نديده ايمش وچون آفتاب مشهور است به فرّ ومجد ويزرگی واعتبار وگـــهر

هنرور است ويزرگ است واهل دانش را بر آستانه او لازم است عرض هنـــر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٨)

الترجمة:فمن سمع قصة هدم شيراز(فمن المسلم به) أنّه سيفهم أنّ فى هذه المدينة كنوزا كثيرة.(كم من كنوز ذهبت أدراج الرياح).نحن لم نرها غير أنّها مشهورة بالمجد والعظمة شهرة الشمس.فهى فنانة كبيرة إذ يتوجّب على أهل العلم تقديم فنّهم على عتبته.

١٠–الوجوه الفنية المتباينة

١٠–١–التناص: «التناص تقنية نصية تعنى تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة» (مفتاح، ١٩٨٥م: ١٢١) وهذه العلاقة بين النصوص ليست علاقة سطحية أو شكلية؛ «فالنص الأدبى يسعى إلى الاتكاء على الماضى، ليس فقط لتوظيف النص فنيا، وإنما ليستمد شرعية البناء النصى المولد الجديد، أى أنّ التناص من هذا المنظور يصبح (إيديولوجيا) منتجة» (حمزه، ٢٠٠١م: ٣٢). لابدّ للقارئ من أن يكون على معرفة بالنصوص التى تتعانق أو تتنافر مع النص الشعرى حتى يستطيع محاورة النص، ومعرفة مواطن التواصل والجمال، «فالتناص يحقق وظيفة جمالية للنص الجديد» (ربابعة، ٢٠٠٠م: ٩٥).

للتناص عدة أنواع منها: الدينى والأدبى والتاريخى والأسطورى والعلمى ونرى فى قصيدة داورى شيرازى بعض هذه الأنواع ولكن لايوجد مثل هذا التناص فى قصيدة حافظ إبراهيم.فمن التناص الدينى الذى استمدّ منه داورى شيرازى :

همى دويدم وسنگ از قفاى من مى ريخت چنو شب عقبه از قفاى پيغمبـــر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:كنت أركض والأحجار كانت تسقط ورائى على الأرض كما كان المشركون يرمون الأحجار على رأس النبى فى ليلة العقبة. فالشاعر يصف فراره من البيت فى الصباح الباكر أى حين حدوث الزلزال وقذف الأحجار على رأسه بما فعل المشركون فى ليلة العقبة بالنسبة إلى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم وهذا يُعدّ من التناص الدينى.أمّا من التناص التاريخى فهذان البيتان يدلان على قصة قارون وصالح النبى عليه السلام:

بسى نماند كه قارون سر آوَرَد به برون ز خاک وناقه صالح برون جهد ز حجر

(ديوان داورى شيرازى، ١٣٧٠ش: ١٢٧)

الترجمة:(كان الزلزال الذى حدث فى مدينة شيراز الايرانية شديدا مريعا) حيث كاد أن يخرج قارون من باطن الأرض(كما) كادت أن تخرج ناقة النبى صالح عليه السلام من الحجر. الشاعر يستمدّ من قصة قارون وصالح النبى عليه السلام صورة رائعة مما حَدَث بوساطة الزلزال ومدى الدمار الذى حلَّ بالمدينة بواسطته.فجميع هذه الصور تساعد القارئ على تصوير ما حدث للمدينة بواسطة الزلزال من الدمار و الإنقلاب.

١٠-٢-خلق الصورة الشعرية

«التعمّق فى الصورة من أولى خصائص الفن الشعرى فى الوصف و لاشكّ أنّ أهمية هذه السمة الفنية في التصوير، تأتى من استغراق الشاعر فى أعماق الصورة؛ فهى تحظى منه بعناية فكرية ونفسية وتأملية يمنحها قيمة فنية كبرى».(سالم،١٩٨٩م: ٣٢) يتفوّق داورى شيرازى على حافظ إبراهيم فى خلق الصورة والتعمّق فيها وهذا التفوّق يحصل من استمداده من التشابيه والإستعارات الرائعة وإهتمامه بالتفاصيل و أيضا إستخدام التشخيص فى بعض أبيات قصيدته، فجميع هذه الأسباب أدّى إلى تفوّقه فى خلق الصورة والتعمّق فيها، بينما لانرى استخدام التشبيه

والاستعارة فی شعر حافظ إبراهیم بقدر ما نجد فی شعر داوری شیرازی، فداوری شیرازی عند وصفه صمت اللیل و هدوءه یستخدم الاستعارة:

نه هیچ پندار اندر فراخنای زمین نه هیچ روغن اندر چراغدان قمر

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:لا توجد أی فکرة علی سطح الأرض الواسعة و لا یُوجد أیّ ضوء فی القمر.

ومن استمداده من التشبیه هو ما أشیر إلیه آنفا فی وصف قذف الأحجار حین فرار الشاعر من البیت صباحا:

حصارخانه چنو منجنیق سنگ انداز فشاند سنگ و به من بر نماند راه مفرّ

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة: إنّ ما أحاط بالبیت من الجدران رشقتنی بالأحجار کالمنجنیق الذی یقذف الأحجار إلی(الأهداف المحددة) إذ لم یبق أی مفر لی(سُدّت کل الطرق أمامی).

وعند وصفه عظمة الزلزال وما حل بالمدینة والبیوت یقول:

ز زور زلزله سر تا به پای در جنبــش حصار خانه چو رقاصه های بازیگر

به یک دو لرزه به هم در شکست شهر چنان که آبگینه خالی ز پتک آهنــگر

ز پیچ وتاب زمین گرد یکدیگر پیچیــد چنارهای قوی همچو شاخ نیـلوفر

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٦)

الترجمة:ترتعش الأبدان من الرأس إلی القدم نتیجة شدّة الزلزال کما ترتجف جدران البیت کالراقصات الفنانات.لقد تهدّمت المدینة إثر هزّة أو هزّتین تهدما مثل الزجاج الفارغ الذی یکسر من مطرقة الحداد.لقد دارت أشجار الکنار القویة بعضها حول البعض کأغصان عرائس النیل نتیجة ما یحدث فی الأرض من هزّات عنیفة.کصفحة التقویم تری المدینة متهدّمةً جدرانُها و حیطانها وأبوابها. کما تقدم ذکره، یستخدم داوری شیرازی فن التشخیص فی قصیدته وهو أن یجعل الشاعر للجماد ما للإنسان من الحواس. یکثر الشاعر الایرانی من هذه الصنعة بینما لانجد هذا الاهتمام بهذه الصنعة لدی حافظ إبراهیم، فهذا هو دلیل تفوّق داوری علی حافظ فی خلق الصورة الشعریة:

شبی کشیده به رخساره نیلگون معجر به قیر روی فروشسته تـــوده اغبر

هوا گره به جبین وستاره اشـک آلود افق دریده گریبان زمین سیاه به ســر

نه هیچ پندار اندر فراخنای زمیـن نه هیچ روغن اندر چراغـــدان قمر

(دیوان داوری شیرازی، ١٣٧٠ش: ١٢٥)

الترجمة:ليلٌ أرخى على وجهه بِخِمار أسود(فكأنّ) السحب السوداء غسلت وجهها.الهواء مقطب الجبين،الكوكب دامعةٌ عيونه والأفق مشقوق الجيب والأرض لابسة الثياب السوداء على رأسها. لا توجد أى فكرة على سطح الأرض الواسعة ولا يُوجد أىّ ضوء فى القمر. ويصف حافظ ابراهيم لنا ليلة قبل الحادث بأنها كانت ليلة صامتة وكان الناس نائمين فى سرائرهم مستفيدا من التشخيص لكنّه لايتعمّق فى الصورة بقدر الشاعر الفارسى، فهو إذا استخدم الاستعارة، يبقى هذا الإستخدام بسيطا ولا يحتاج إلى التفكير المعقّد لكشف ما يريد الشاعر من معانٍ، فحينما يريد أن يصف ما شارک فى خلق الزلزال وساعده لهلاک الناس، يقول:

جَنَّدَ الماءَ و الثَرى لِهلاکِ الـ خَلقِ ثُمَ استعَانَ بالنيـرانِ

وَدَعَا السُحبَ عاتيا فأمَدَّتـ ـهُ بجَيشٍ مِن الصواعقِ ثانى

(دیوان حافظ ابراهیم،١٩٨٧م: ٢١٧)

أو حين وصفه نكبة الناس إثر المصائب التى حلت بهم يقول:

لَهفَ نَفسى وَ ألفَ لَهفٍ عَلَيـــها مِن أكُفٍّ كانت صَناعَ الزمانِ

مِن تَماثيلَ كالنُّجومِ الـــدرارى يَهرِمُ الدهرُ و هَى فى عُنفُوانِ

(دیوان حافظ ابراهیم،١٩٨٧م: ٢١٩ و ٢١٨)

لايستخدم حافظ ابراهيم فن التشخيص بقدر ما يستخدمه الشاعر الفارسى.من جانب آخر لايتوغلّ حافظ إبراهيم فى التشبيه والاستعارة بقدر داورى شيرازى؛ فجميع هذه الأسباب جعلت داورى شيرازى متفوقا على نظيره المصرى حافظ ابراهيم لِما فى أشعاره من تعمق فى الصورة.

النتيجة:

قامت هذه الدراسة بمعالجة القصيدَتَين من منظور مُقارن بما فيهما من الموضوعات والفنون المشتركة والمتباينة. فنظرا إلى طول القصيدَتَين،أشير إلى أهمّ ما بينهما من المشتركات والمتباينات. أما من حيث الموضوعات المشتركة فيمكن الإشارة إلى وصف عظمة الزلزال، شمول الموت والرجاء بإحياء المدينتين المنكوبتين بعد ما خربتا، أما أوجه الاختلاف بينهما موضوعا فهى: العناية بتفاصيل الحادث و الإهتمام بالفخر والمدح. ويهتمّ داورى شيرازى بالتفاصيل أكثر من حافظ إبراهيم.يُوجد أيضا الفخر بالنفس ومدح الإمام الحسين عليه السلام و السلاطين و الوزراء فى قصيدة داورى شيرازى. أما الفخر عند حافظ إبراهيم فمتوجهٌ إلى مدينة مسينا أكثر من أن يكون متوجها إلى نفس الشاعر كما لايوجد مدح الأشخاص فى قصيدته. أما من حيث الدراسة الفنية للقصيدَتَين، فأهمّ ما اهتدى إليه البحث هو أنّ لكل منهما مقدمة و تخلّصا و خاتمة على الرغم من إختلافهما فى المعنى و المضمون فى كلّ هذه المراحل الثلاث. أمّا بالنسبة إلى وجوه الخلاف فنا،فيمكن الإشارة إلى استخدام التناص الدينى والتاريخى فى قصيدة داورى شيرازى، بينما لاتوجد هذه الصنعة فى قصيدة حافظ إبراهيم.يستمد داورى شيرازى من التشابيه والاستعارات والتشخيص فى شعره وهذا دليل تفوّقه على مماثله العربى فى خلق الصورة الشعرية، بينما لايستخدم حافظ إبراهيم التشخيص فى قصطدته ولايكثر من استخدام التشبيه والاستعارة بقدر داورى شيرازى وتبقى هذه التشابيه والاستعارات بسيطة لا حاجة للتوغّل فيها.

المصادر والمراجع:

أ. **العربية:**

١. إبراهيم، حافظ (١٩٨٧م)، **ديوان حافظ إبراهيم**، ضبطه و صحّحه و شرحه و رتّبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبيارى، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

٢. ابن حجة الحموى، أبوبكر بن على بن عبدالله (٢٠٠١م)، **خزانة الأدب و غاية الأرب**، تحقيق: كوكب دياب، بيروت: دار صادر.

٣. ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين الأنصارى (١٩٦٥م)، **معجم لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

٤. أنيس، إبراهيم و آخرون (١٩٩٨م)، **المعجم الوسيط**، سوريا: دار الفكر.

٥. حسين، طه (دون تاريخ)، **حافظ و شوقى (فى المجموعات الكاملة لمؤلفات طه حسين)**، بيروت: دار الكتّاب اللبنانى.

٦. حمزه، حسين (٢٠٠١م)، **مراوغة النص**، حيفاء: مكتبة كلّ شئ.

٧. الرافعى، مصطفى صادق (١٩٧٤م)، **تاريخ آداب العرب**، المجلّد ٣، بيروت: دار الكتّاب العربى.

٨. ربابعة، موسى (٢٠٠٠م)، **جماليات الأسلوب و التلقى دراسة تطبيقية**، ط ١، بيروت: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية.

٩. سالم، ليلى (١٩٨٩م)، **الوصف فى شعر عبدالله بن المعتز العباسى**، رسالة مقدمة للنيل إلى درجة الماجستير فى فرع اللغة العربية، الإشراف: الدكتور عبدالحكيم حسان، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

١٠. العسكرى، أبوهلال (١٩٥٢م)، **الصناعتين**، تحقيق: على البجاوى و محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

١١. الفاخورى، حنا (١٩٨٦م)، **الجامع فى تاريخ الأدب العربى**، بيروت: دار الجيل.

١٢. القزوينى، جلال الدين (١٩٧٥م)، **الإيضاح فى علوم البلاغة**، بيروت: دار الكتّاب اللبنانى.

١٣. القيروانى، أبوعلى الحسن بن رشيق (١٩٧٢م)، **العمدة فى محاسن الشعر و آدابه و نقده**، المجلّد ٢، حقّقه و فصله: محمد عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

١٤. –للبدى، هبة إبراهيم منصور (٢٠١٢م)، **الوصف فى شعر الملك الأندلسى يوسف الثالث**، رسالة مقدمة للنيل إلى درجة الماجستير فى فرع اللغة العربية، الإشراف: الدكتور وائل أبوصالح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

١٥. مفتاح، محمد (١٩٨٥م)، **تحليل الخطاب الشعرى (إستراتيجية التناص)**، بيروت: دار التنوير للطباعة و النشر.

١٦. مكى، الطاهر أحمد (١٩٨٧م)، **الأدب المقارن: أصوله، تطوره و مناهجه**، القاهرة: دار المعارف.

ب–الفارسية:

١٧. داورى شيرازى، محمد بن محمد شفيع .(١٣٧٠ش). **ديوان داورى شيرازى**، وصال.

١٨. دشتى،على.(١٣٨١هـ.ش)**.خاقانى شاعر ديرآشنا**،ج٤،تهران: انتشارات اميركبير.

١٩. شميسا،سيروس.(١٣٨٣هـ.ش)**.انواع ادبى**،ج ١٠،مشهد: انتشارات فردوسى.

ج– المجلات

٢٠. ابراهيمى كاورى،صادق و ديگران.(١٣٨٧هـ.ش).«**مقايسه موضوعى وصف طبيعت در شعر فارسى و عربى**»مجله مطالعات ادبيات تطبيقى،جيرفت:دانشگاه آزاد جيرفت،صص:٢٤–١

٢١. سلطانى مقدم، سعيده .(١٣٩٠ش)**.كتابچه اردشير ميرزا(شرح مأموريت به نقاط مختلف ايران)**، مجلة پيام بهارستان، الرقم ١٤، السنة الرابعة،صص:٥٨٦–٥٧٢

٢٢. شيبانى،سعيد.(١٣٧٨هـ.ش).«**وصف در ديوان ابوتمام**»،مجله دانشكده ادبيات و علوم انسانى دانشگاه تهران،صص: ١٤٧–١٣٣.

٢٣. محمد كرد، على (١٩٣٢م).«**حياة حافظ إبراهيم**» مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلّد الثانى عشر، تشرين الثانى و كانون الأول، الجزء ١١ و ١٢ ،صص:٧٥٠–٧٤٤